فعل مثل ذلك ايضاً في كنيسة القديس لاونديوس في معلولا لانهُ يؤخذ من كلامهِ عنها ان مكان النسآء فيها كان قبلاً بجانب مكان الرجال ثم جعلهُ في شماليّها قال « وفي سنة ١٨٦٧ هدمنا هذه الكنيسة ووسعناها جيداً اذ اخذنا لها بعض اماكن من جهة الشرق ورفعنا بيت النسآء الى العالي في غربيها » وفي هذين القولين اقرار بما كانت عليهِ حال هاتين الكنيستين قبل ان يتلف المطران رسومهما باصلاحهِ الفاسد

وزعم البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي في كتابهِ الذي دعاهُ بالنحلة[1] ان هذه الشعريات او اقفاص النسآء قد اتُّخذت في الكنيسة منذ عهد القديس يوحنا فم الذهب واورد لذلك سبباً لم يذكر من اي كتاب نقلهُ لتُعلم صحة روايتهِ وهذا نص ما اخبر بهِ قال

(١) هذا الكتاب معرب عن اليونانية اضاف اليهِ معربهُ البطريرك مكاريوس المذكور اخباراً شتى جمعها من كتب كثيرة • والنسخة التي طالعتها منهُ خطية وجدت في قرية عربين من ضاحية دمشق كتب في آخرها « تم بعون الله تعالى بيد الفقير الخاطي الشماس جراسيموس الشامي سنة ٢٢١٤ » كذا ولعل الصحيح ١٢١٤ هجرية • وهي ناقصة من اولها واثنائها ويظهر انها ناقصة ايضاً من آخرها قليلاً وان كان في الخاتمة المذكورة ما يشعر بانتهآء الكتاب • وعدد صفحاتها المحفوظة ٢٤٨ صفحة في قطع متوسط • وفيها فصول ومقتطفات جزيلة الفائدة نقلت بعضها في هذا الكتاب لجدتها وغرابتها • ومنها يستفاد ان البطريرك مكاريوس عرَّب هذا المجلد بعد تجولهِ في الابرشيتين الانطاكية والاورشليمية وفي غضون سفرهِ الثاني الى القسطنطينية وبلاد الفلاخ والبغدان وروسيا وجبل اثوس المعروف بالجبل المقدس لانهُ حكى اشيآء مما اتفق لهُ في رحلهِ وخاصةً في بلاد الروس حيث وجد عادة رسم الصليب بالابهام والبنصر والخنصر شائعة وهي البدعة التي ابتدعها يومئذٍ احد كهنة السرب في الجبل المقدس فاجتهد البطريرك في ازالتها وتحريمها وحرم مبتدعها وشيعتهُ فاعرض عنها

كثيرون وبقي قوم مقيمين عليها الى ما بعد تأليف هذا الكتاب • وقد عدها ايضاً في موضعٍ ثانٍ من كتابهِ في جملة اختلافات اخر وجد الروس يتنازعون فيها ولما اشتد السجس بينهم من اجلها اضطرت الحاجة الى فصلها في مجمع خاص اجتمع فيه « بطرك الاسكندرية بائيسيوس وكاتبهُ مكاريوس الانطاكي وسائر رؤسآء كهنة بلاد الروس الكبرى والصغرى وكافة رؤسآء الديارة ومن رؤسآء كهنة الروم سبعة » ذكرهم باسمآئهم وبحثوا في الكتب المقدسة « وكتب قديمة من مدة ثلثماية سنة وازيد واقل » وقرروا ما يجب تقريرهُ مما افاض في شرحهِ

واخبر ايضاً انهُ لما كان في بلاد البغدان لبس فلونية القديس فم الذهب وتقدس منها وهي الثوب الذي كان يلبسهُ البطاركة قبل اتخاذهم الصاكون المعروف اليوم قال « وهي موجودة الى الآن في بلاد البغضان مكرمة محفوظة في كنيسة اسقفية مدينة رومانس »

وفي هذا الكتاب كما في سائر كتب البطريرك مكاريوس شواهد عديدة على ما كان لهُ من الرغبة الوافرة في المطالعة والتأليف والولع الشديد بالتنقيب عن الكتب وتكلف مشاق الاسفار للبحث عنها واستنساخها حتى كان لا يعد ذلك فقط من الاعمال الصالحة حسبما كتب عن نفسهِ بل كان يرى التقصير فيهِ اثماً عظيماً لا سيما على رجال الكهنوت كما سيجيء من لفظه • وقد بقيت الى اليوم بضعة مجلدات من تصنيفهِ سبق وصف قسم منها في جريدتي المنار والمحبة في بيروت سنة ١٨٩٩ • ولهُ في ما عداها مؤلفات اخر مصونة في خزائن الكتب الاوربية او مدفونة عند بعض الخاصة من الشرقيين غير منتبهٍ الى مكانها حتى يقيَّض لها من يعرف قيمتها • وقد وقفت على اسماء عشرة منها وهي التي ألفها وعرّبها في سفرتهِ الثانية وجدتها في مقدمة كتابه تاريخ الرومي العجيب الجديد من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد • وهذا نص ما كتب فيها اوردهُ بحرفه زيادةً في التعريف بفضل هذا الرجل الذي يجدر ان يكون مثلاً لقوم يتمثلون وتنبيهاً للقرآء الى ما عساهُ ان يقع لهم من بعض مؤلفاتهِ النادرة قال

« اعلم يا هذا باني لما كنت في بلاد الغربة ثاني دفعة تاريخه ادناه التي لم تكن باختيارنا ولا بارادتنا فلكن من الضرورة وكثرة الديون والفوايد التي كانت على الكرسي الانطاكي • فكنت اجتهد حتى لا امكث بطال واخرج من الكتب الرومية التي ليست هي موجودة في لغتنا وبلادنا وانقلها الى لساننا لاجل المنفعة الحاصلة منها • وكنت

اسأل عن معاني الكلام وتفسيره من العارفين بذلك وعملت بحسب مقدرتي واخرجت عشرة كتب في هذه الغيبة الثانية (فالكتاب الاول) منهم فانه اخبار لطيفة جداً من كتب شتى ولاجل ذلك دعوته كتاب النحلة لمكاريوس البطريرك الانطاكي • (والكتاب الثاني) فانه يشتمل على اخبار السبعة مجامع الكبار المقدسة المسكونية واسامي ساير روسا الكهنة الذين كانوا فيهم وعدتهم واسامي كراسيهم وتاريخ وفاتهم وعلى من كانت هذه المجامع من المخالفين وفي اي البلاد كان اجتماعهم ومن هم الملوك الذين كانوا حاضرين فيهم وفيه اخبار واسامي ابرشيات الدنيا كلها وغير ذلك ودعوته كتاب اخبار السبعة مجامع المقدسة المسكونية المشتمل على اعتقادات المستقيمة البهية • (والكتاب الثالث) ففيه ستة عشر خبر من اخبار القديسين الذي تذكاراتهم في ايام الصيف ودعيته كتاب نفيس (كذا) وسير واخبار بعض الرسل والشهدا والقديسات والابرار • (والكتاب الرابع) فقد جمعه واحد كاهن عالم من جماعة الروم في تفسير الذبيحة الالهية والقداس المجيد وشكل الكنايس وبنيانهم وتفسير الات القداس وبدلات الكهنوت قد جمع ذلك الكاهن المذكور من اقوال ابا قديسين كثيرين ودعوته كتاب تفسير خدمة القداس الالهية • (والكتاب الخامس) في اخبار بطاركة الدنيا الذين صاروا على الاربعة كراسي البطركية وهم القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم من عهد الرسل القديسين الى الآن واساميهم وبعض اخبارهم ومدة اقامة كل واحد منهم على ذلك الكرسي الرسولي ودعوته كتاب اخبار ساير البطاركة الذين صاروا على الاربعة كراسي الارثودكسية واساميهم ومدة اقامتهم من عهد الرسل الاطهار والى هذا الحين • (والكتاب السادس) فهو هذا الكتاب الذي دعوته كتاب تاريخ الرومي العجيب الجديد هو من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد • (واما الكتاب السابع) فهو كتب كثيرة نافعة للنفس ودعوته كتاب مجادلة كاثوليك الحبشة مع اربان اليهودي وغير ذلك من الاقوال والاخبار النافعة جداً • (واما الكتاب الثامن) دعوته كتاب الكنوز القديم المشتمل على المقالات نافعة جداً في مضمون الاعياد السيدية السبعة وغير ذلك • (والكتاب التاسع) دعوته كتاب عجايب ستنا الطاهرة السيدة وتراتيب ومسايل واجوبتها نافعة جيدة • (والكتاب العاشر) دعوته كتاب سلوة من يريد يلقب بالكنوز الجديد • واخرج لنا ايضاً المرحوم الخوري يوسف المصور كمالة كتاب هذا التاريخ من عهد قسطنطين الملك الى زماننا هذا يشتمل

على اخبار الملوك والبطاركة وغير ذلك ودعيناه كتاب الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم • والفقير ايضاً اخرجت في سفرتنا الاوله بمعونة الله خمسة كتب فيهم مقدار خمسين خبر قديس معدومين من لساننا وبلادنا ومن الذين جمعهم اغابيوس الاقريطشي ومعهم مسايل كثيرة واجوبتها وقوانين كثيرة وشرايع تشتمل على المواريث وغير ذلك وعلى حساب زيجات المسيحيين وفي حساب الفصح المجيد واخبار ساير القديسين الذين خرجوا من بلادنا وغير ذلك من كتب المعلمين والمورخين الكاهن متى الفلاسطاري وجرجس كودينوس وصوايدوس وغيرهم اشيا نافعة جداً للنفس ويحتاجوا اليها المسيحيين طغمة روسا الكهنة ومن يتبعهم من الكهنة والشمامسة والاكليروس وكلها كانت معدومة من لساننا وبلادنا قصدنا بذلك منفعة نفوسنا ونفوس اخوتنا المسيحيين »

(Notices Sommaires des Manuscrits Arabes du Musée Asiatique par le Baron Victor Rosen . 1ère livraison 1881 p. 133 — 135)

ومن هذه «الاشياء النافعة جداً» مقالات لهُ مفردة في بعض مواضيع مخصوصة منها كما ذكرهُ في النحلة مقالة كتبها عن معلمي الكنيسة المرتلين الذين صنفوا قوانين القديسين وهم واحد وار بعون معلماً قال « واولهم يوحنا القس الدمشقي وثانيهم قزما المنشي وباقيهم انا الفقير تعبت في ايضاح اسماهم وعملت في ذلك مقالة عجيبة جداً وهي في غير هذا الكتاب فمن كان محباً للعلم فليبحث عنها ويقرأها وينسخها »

وقد عثرت على هذه المقالة في مجموع خطي قدّمهُ الى البطريرك المرحوم غريغوريوس يوسف الخوري الياس جحا النائب الاسقفي في حلب منسوخاً بيد اخيهِ يوسف جبرائيل جحا في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨٨٨ • والمقالة في ١٩ صفحة متوسطة كتب في آخرها ما نصهُ « هذا هو اسامي واخبار الآباء معلمين الكنيسة والمرتلين وقد جمعت بهمة واجتهاد السيد البطريرك كير مكاريوس الانطاكي في ٢٦ ايلول سنة ٧١٧٣ لآدم (سنة ١٦٦٥ للميلاد) في محروسة كتايس تحت بلاد الكرج »

واما كتاب النحلة الذي نحن بصددهِ فقد بلغني انهُ يوجد منهُ نسخة في احدى مكاتب بطرسبرج كما انهُ يوجد فيها ايضاً نسخة من كتاب الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم وتاريخ الرومي العجيب الجديد وغيرها من تأليفهِ او تأليف ابنهِ الشماس بولس الحلبي • وقد تقدم ان المجلد الذي وقفت عليهِ ناقص عدة اوراق وانما عرفت العنوان

واسم المؤلف من فصلٍ لهُ ذكر فيهِ كيفية تأليفهِ لهذا الكتاب وصرَّح باسم الاصل الذي عرّبهُ عنهُ بتصرف وهو هذا الآتي نقلتهُ هنا برمتهِ لما تضمنهُ من الفوائد ولا سيما ان فيهِ كلاماً عن اللغة السريانية لا يخرج عن محلهِ في هذا الجزء بعد ما سبق من الكلام عن اللهجة المعلولية • وهذه عبارتهُ بالحرف دون اصلاح ولا استدراك

قال الرب لنا في انجيلهِ المقدس فتشوا الكتب فانها تشهد من اجلي ولم يقول اقروا الكتب على بسيط ذاتها فلكن قال فتشوا بحرص واجتهاد لتعلموا معانيها لان فيها حياة الابد واذ كانت الكتب راحة الله وآبآؤنا قبلنا عرفوا الله من كتبهِ صارت قرآءة الكتب وسماعها فضيلة عظيمة وبالخاصة نساختهم لان الرب قال كل ناسخ يتتلمذ لملكوت السمآء يشبه رب بيت يخرج من كنوزه عتقاً وجدداً وعدم سماع الكتب ونساختها فذاك اثماً وخطية ومخالفة وبالخاصة على الذين يعرفون القرآءة ويتكاسلون واعظم من هذا فهو على الكهنة وروسا الكهنة والشمامسة الذين لا يتعلموه ولا يعلموه لغيرهم ليخلصوا من الدينونة • وانا الفقير كنت احب افتش واقرا بخاصة في الكتب المقدسة لانتفع • وكنت احب اذا نظرت شيئاً من اخبار القديسين ليس موجود عندنا في لسان العربي فكنت اجتهد واسأل عن معانيه واخرجه الى لغتنا حسب المقدرة • واردت ان اخبر اخوتنا المسيحيين في بعض اخبار غريبة ربما لم يكونوا يعرفوا اصولها وذلك بان منذ القديم كانت انطاكية العظمى ودمشق وطرابلس وما يليها وحلب وما والاها وساير بلادنا مع اورشليم وساير بلادها الى نواحي مصر ومن انطاكية الى ساير بلاد قرمان كانوا يتكلمون باللسان اليوناني والرومي وبالخاصة حين تملك عليهم الاسكندر المكدوني اليوناني لانه تملك ساير الدنيا وبعد مماته تملكوا عبيده بعده واقتسموا ساير الدنيا فبطليموس ملك مصر والاسكندرية والمغرب ومن بعده اقتفوا اثره تباعه وضبطوا الممالك المذكورة • وانطيوخوس تملك رومية وارسل ابتنى انطاكية لانه كان استحوذ على بلاد المشرق وبعده اقتفوا اثره الملوك القياصرة • وكان كرسيهم في مدينة رومية وكانوا مستحوذين على ساير بلاد المشرق • وبعدهم قسطنطين الكبير وابنه قسطنطينوس وساير ملوك الروم الى هرقل الملك وكانوا جميعهم يتكلمون باليوناني والرومي ويرسلوا من قبلهم الى ساير بلاد المشرق الحكام والولاة ليسوسوا احوال اهل البلاد وكانت لغات جميعهم يونانية ورومية فمن هذه الجهة انزرع لسان اليوناني والرومي في اكثر المسكونة خصوصاً في بلادنا والى الان موجود كتابة باليونانية على الحصون والاسوار

والكنائس المعظمة فدل ان ساير بلاد المشرق اكثرهم كانوا يتكلموا باليوناني لان الرعية على لغات ملوكهم • واما القرى التي في بلادنا فكانوا يتكلموا باللغة السريانية ولهذا دعيت بلادنا باسرها بلاد السيريا • وكانوا كل اهل القرى يقرون باللغة السريانية ويتكلمون فيها وبقيوا بعضهم الى زماننا هذا • واما بلد كيليكيا و بين النهرين و بلاد ارمينية كانوا يتكلمون بالارمنية والسريانية وكانوا روسا كهنة الارمن والسريان وقتئذ يعرفون باللغتين ارمن كانوا او سريان • وكانوا يتعلموا اليونانية ايضاً لاجل قرآءة الكتب ومعرفة ما فيها لاجل المحاورات فيما بينهم لان الارمن والسريان انفصلوا من الكنيسة الجامعة بعد انقضآء المجمع الرابع وتبقى من الارمن طائفة كبيرة لم تتبع المذكورين في اعتقادهم بالطبيعة والمشية ولا انفصلوا من الكنيسة وهولآء يدعون الذات ومذكورين في كتاب الطب الروحاني انهم ارثوذكسيين • ويؤكد هذا نيكن البار رئيس دير مار سمعان العجايبي في رسالاته الى بطرك اورشليم والى روسا الكهنة الذين هناك يوضح لهم بانهم ارثوذكسيين ويأمرهم ان يخالطوهم في القداسات والصلوات واخبرهم بان بطاركة انطاكية وروسا كهنتها شاركوهم في ذلك وكان من هولآء الارمن الذات كهنة ورهبان كثيرين مقيمين في اورشليم وساير دياراتها • وكان بعض الكهنة والرهبان يجتنبون مشاركتهم فارسلوا سألوا بطرك انطاكية ونيكن عن امرهم لان قد كان في نواحيهم ديارات كثيرة يسكنوها كهنة ورهبان من هولآء الذات الارثوذكسيين ولسانهم ارمني وكتبهم وقرآءتهم كانت ارمنية اقوالها صحيحة مثل كتبنا لان اعتقادهم كاعتقادنا مستقيم • وبقي منهم اناس موجودين في زماننا هذا ساكنين في بلاد ارزروم وما يليها والى الان شرطونية روسا كهنتهم يأخذوها من بطرك انطاكية • وفي ايامي اتشرطن مطرانين منهم وماتوا وانا شرطنت منهم كاهن يدعى لغرنديوس مطران يعرف بلغة الارمنية والرومية والتركية ورعيته ورعين جداً • واما بسرى العربية فهي فوسطره اعني حوران هذه هي بلد ايوب الصديق ووالدته كانت اسمها بسراوس • وكانوا اهل هذه البلد في القديم اناساً منهم يتكلمون بلغة العربية وهي اول بلاد العرب لان منها الى مكة ونجد واليمن فكانوا كلهم يتكلمون بالعربي • وهذه ارابيا البلقا واليها هرب بولص الرسول لما خرج من دمشق وذكرها في رسالته • وفي القديم كان اكثر اهلها اسرائيليين وفي عيد العنصرة لما كانوا مجتمعين باورشليم من ساير الدنيا وهبط الروح القدس على الرسل وصف لوقا الانجيلي في الابركسيس بانه

كان حاضراً وقتئذٍ ستة عشر لغة وذكر في آخرهم واعراب · فاستبان بان هذا اللسان كان من حين تبلبلت الالسن في بابل لكنه كان محقور وقليل من كان يقرا فيه وبخاصة في ايام ملوك المسيحيين كانوا يقروا باليوناني والسرياني وداود يقول ملوك العرب وسبا اي اليمن · ومطرنية حوران كانت تروس على ستة وثلاثين اسقف لان كان فيها ستة وثلاثين مدينة · وكانوا يقروا باللغة اليونانية على ما تدل كتبهم والادراج الرومية القديمة · وفي عهد القديس افتيميوس الكبير اتى اليه طرابن رئيس قبيلة العرب فاشفى القديس ابنه لان جنبه الواحد كان يابساً فآمن بالمسيح مع ساير قبيلته وعمدهم بطرك اورشليم وعمل منهم اثنين اساقفة وذهبوا وحضروا في المجمع الثالث الذي في افسس والمجمع الرابع الذي في خلكيدونية وهم من جملة القديسين اصحاب المجامع ويدعون هولاء اساقفة البربر · وكانوا كهنتهم ورعاياهم يقدسون في كنايس من خيم وينقلوها معهم في اسفارهم وبقيوا في ديانة المسيح نحو ثلثماية سنة · وذرية هولاء المذكورين فهم بيت طربيه باسرهم الذين هم الان في جبنين القدس و بلادها · ولما ذهب مار سابا الى القسطنطينية واظهر الله النعمة الحالة عليه ليوستنيانوس الملك فطلب منه سابا خمسة اشيا الواحدة ان يرسل ويبني سوراً حول ديره يتحصن فيه الرهبان من اذية العرب فارسل وفعل ذلك · وهكذا فعل في دير طورسينا لان العرب كانوا سابقاً ضعفا وكانوا يأتون كاللصوص ويؤذون النساك · وكثير من العرب كانوا يصيروا نصارى ويعتمدوا · وكانوا ملوك الروم يعطوهم اماكن باطراف بلادهم توافقهم · وسابقاً بعض رسل المسيح ذهبوا لعندهم وانا روهم وهم سيمن المدعو ناتانائيل ومتياس وغيرهم وعمدوا كثيرين وبعد ذلك عاد منهم اناس الى كفرهم وعبادة الاصنام كما يخبر عنهم البار نيلس الذي تذكاره في الثاني عشر من تشرين الثاني لما استأسروا ولده تاودلس من عند البحر الاحمر لانه هناك كان ينسك ومعه غيره من النساك ولما ذهب واستفك ابنه منهم ذلك اخبر عن ضحاياهم وكفرهم · وكتاب التاريخ يخبر بان المنذر ابو النعمان الذي ابتنى المعرة ملك العرب كان نصرانياً واعتمد مع قبيلته · واخبر تاردور يطوس اسقف قورش بان كانت امرأة مسيحية حسيبة جداً تروس على قبائل كثيرة من العرب الذين بين مصر وفلسطين وكانت غيورة في الامانة جداً فلما نظرت هؤلاء البربر لا يعرفون الله ذهبت لعند موسى البار الناسك بقرب تلك البلاد وتضرعت اليه فاطاعها وذهب معها للاسكندرية فشرطنه بطركها اسقفاً على العرب واخذته معها لبلادها

وانارهم بتعليمه وبالعجائب فاقتادهم الى الايمان وعمدهم مع نساهم واولادهم · ولما كان تبقى قبيلة من اليهود في بلاد اليمن كان عليهم مقدماً سمّوهُ الملك وكان يبغض المسيحيين كثيراً · وكان في اطراف بلاد اليمن مدينة عظيمة تدعى نجران بها اسقف وكل اهلها مسيحيين فذهب هذا الكافر اليهم ومعه عسكر كثير يهود وعباد اصنام وحاصر مدينتهم فلما لم يقدر يفتحها خادعهم وحلف لهم بانه لا يؤذيهم لكي يفتحوا له ابواب المدينة ليدخل من الباب ويخرج من الآخر فقط ويذهب لبلاده فصدقوا قوله · فلما دخل غدر فيهم وطلب منهم ينكروا المسيح ويصيروا يهود ليخاصوا ويكرمهم · فلما خالفوا رأيه وبصقت في وجهه بنت احد اكابرهم قتلهم كلهم واحرق منهم كثيرين بالنار ولم يبقى احداً منهم ولم ينكر المسيح احداً منهم وتذكارهم في الرابع والعشرين من تشرين الاول ٠٠٠٠ وهولاء الشهدا كانت لغتهم عربية كبلاد اليمن · ثم بعد هذا اليهودي صار على اليهود مقدم غيره يدعى داميانس وجعل ذاته ملك وكان يؤذي المسيحيين الذين بقربه وقتل كثير من التجار · وكان في تلك الجهة ملك امحي يدعى داوود ملك اكسيوميطن اراد ان يحارب هذا داميانس فتضرع الى الله ان يساعدهُ على قتل داميانس ليصير هو مسيحياً مع ساير بلاده · فذهب وحاربه ومسكه بالحياة وقتله والجانب من عسكره واخذ ملكه جميعه وشكر الله على ذلك وارسل فاعلم يوستنيانس وطلب منه ان يرسل له اساقفة وكهنة وشمامسة لانه آمن بالمسيح من كل قلبه ليعمدوه · فارسل كل ما طلبه منه وعمدوهم وصاروا كلهم مسيحيين في السنة الخامسة عشر من ملك يوستنيانس · وكانوا كلهم يعرفون اللغة العربية وكانت صلواتهم في المزامير وساير كتب العتيقة بلسان اهل بلادهم لان اليهود قد كانوا انزرعوا في كافة الارض ونقلوا التوراة وساير الكتب المقدسة العتيقة الى ساير تلك اللغات الساكنين في تلك البلاد · ولما امنوا هولاء بالمسيح فكانوا في حال صلواتهم والقداسات يقروا كتب الله المقدسة بلغات اهل ذلك الصقع وكذلك الانجيل الطاهر والرسايل والابركسيس وكانوا يفهموهم بلغاتهم ويقروهم على الشعب والمعلمين ويوعظوا الشعب بالكلام النافع ولم تكن هذه القوانين والقطع المختصة بمديح القديسين وصلت الى هناك · وانا الفقير نظرت كتاب الطب الروحاني قديم جداً وكان مكتوب في اوله بان الذي انشاه يدعى ميخاييل اسقف مدينة اثرب وهي هذه المدعوة الان اترب ونظرت كثيرين كهنة ومعلمين اعتراف لم يعرفوا يداووا الساقطين في الخطايا بدوا موافق لشفاهم ولا

يعرفوا كيف يدبروا الراجعين الى التوبة فحركني الفكر الى ذلك وجمعت من اقوال الابا القديسين مما كانوا وضعوه موافقاً لمداواة المسقومين بالخطايا • وعمل ذلك الكتاب تسعة واربعون باباً وكان كله بلغة العربية لانه رتب بعد زمان طويل من عبور الرسول محمد • وكان في اثرب ومكة (يريد قبل الاسلام) كنايس كثير ومسيحين وكانوا يتكلموا باللغة العربية واما صلواتهم وقراآتهم فكانت بلسان اهل تلك البلاد • وكان فيهم اقواماً يفهمون بلغتين وبثلاثة وكانوا يوعظوا المؤمنين دايماً ويفسروا لهم معاني الكتب الغامضة فامتلت المسكونة وجبالها من النساك وليس كانوا من الفقرا والدناة فقط بل ومن الاكابر ومن الملوك تركوا كراسيهم واختاروا شقا الرهبنة حتى ونسا وعذارى تركوا غناهم وشهوات العالم لمعرفتهم بان بهذه السيرة الضيقة يرثون ملكوت السما • ثم فيما بعد ذلك فسمح الله وازال ملك المسيحيين وسلط عليهم قبيلة غيرهم تعاقبهم وتحكم فيهم وازال مجدهم وشرفهم وهجمت عليهم الامتحانات بغتة وكان ذلك لامور يعرفها الله • اما لاجل بطرهم وافتخارهم او لاجل خطاياهم وبغضهم لبعضهم بعض وشرورهم او انه امتحنهم ليسبر صبرهم واحتمالهم او قضى عليهم كما قال داوود قضا الله حقاً صادق افضل من كل شي شهي او كما قال بولص بان نار الامتحانات يسمح الله فيها تصير على المؤمنين ليظهر فيها احتمال الصابرين والتهاب الخطاة المنافقين • هذا جرى على المسيحيين استحوذ عليهم الغير واهانوهم وطلبوا منهم ان ينتقلوا عن اديانهم ومن خالف منهم يقتل وكثير منهم فضلوا القتل والشهادة وتوفيوا شهدا • وكانوا اليهود الملاعين يحركون الحكام دايما بالهدايا والرشى ويقولوا لهم نحن نعرف بعلم النجوم واذا اهنت عباد الصليب تعيش زماناً طويل • وكان كثير من الملوك يصدقوا قولهم ويعملون بالمسيحيين شدايداً كثيرة ثم كانوا يقولوا لهم بان يأمروا المسيحيين يرفعوا الايقونات المقدسة من الكنايس ويحرقوهم والصلبان او يقولوا لهم ان لا يقرعوا النواقيس ولا يظهروا اصوات صلواتهم في الكنايس ولا يظهروا كتبهم في الشوارع • والرجال والنسا لا يلبسوا اثواب ثمينة • وبعض هولآء الملوك امروا على المسيحيين الساكنين في بلاد البربرانية باقاصي ارض مصر بامرين اما ان يخربوا كنايسهم او مدارسهم فاختاروا الجهلة ان يهدموا مكاتبهم ومدارسهم وبطلوا تعليم اولادهم وبعد مدة يسيرة توفيوا اساقفتهم وكهنتهم وبقيوا خرسان لا يعرفوا الاههم ولا دينهم • واستحضر هذا الملك اهل مدينة دمشق وما يليها من المسيحيين وامرهم بمثل ما امر

به البربرانيين المذكورين اعلاه فاجابهم المتقدم فيهم بالهام الروح القدس قائلاً باننا نحن نؤمن بان الله موجوداً في كل مكان وحيثما احدنا صلى فان الله حاضر هناك ويسمع صلاته فاهدم كنايسنا وابقي لنا مكاتبنا ومدارسنا لاننا نحن من المدارس والعلم عرفنا خالقنا ونحن عبيده • فلما سمع الملك هذا الجواب الحسن تعجب وقال لهم لاجل انكم فضلتم العلم والكتب وشرفتموهم على كل شي فسموحاً لكم بان تدوم وتبقى كنايسكم ومدارسكم على حالها وكونوا على ما انتم عليه واذهبوا مطمأنين • وبعد مدة اخرى ظهر في مصر ملكاً يروس على مصر وما يليها واورشليم ودمشق وانطاكية يدعى الحاكم بامر الله فارسل الى ساير الحكام والاماره في كافة بلاده بان يهدموا ساير الكنايس والديارة الذين يروسون عليهم فامتثلوا امره وهدموا في اقل من ثلثة سنين ثلثين الف كنيسة ودير واستحوذوا على ما كان فيهم من اثارات القدس • ثم البعض من المسيحيين اجتهدوا واشتكوا الى هذا الملك المذكور واعادوا ابتنا كثير من تلك الكنايس • ثم بعده ظهر ملك آخر وحتم على المسيحيين الذين في كل مملكته بان لا يتكلموا باليوناني ولا بالسرياني ولا بالقبطي ومن خالف ذلك ولم يتكلم بلسان العربي فيقطع لسانه ويصب في فمه رصاص وفعلوا بالمسيحيين مساوي كثيرة • وكان ايضاً اليهود يحثوا الاجناد والمباشرين على ذلك ويعلموهم بالذي لا يتكلم باللسان العربي وكانوا يطوفوا سراً بين المسيحيين بخبثهم وزغلهم ويأتوا يوضحوا للحكام كلما يريدوه وكانوا يصدقوهم • وقطعوا السن كثيرة من المسيحيين • واخبر المغبوط ملاتيوس بطرك الاسكندرية الذي كان ايام يواكيم ابن زيادة بانه نظر في كتاب تاريخ قديم بان احد هولآء الملوك لما حتم بان لا احداً يتكلم بالالسن المذكورة غضب ايضاً وارسل الى الحكام الذين في كافة ولاياته يامرهم يقطعوا السنة كل من لا يتكلم بلسان العربي وكانوا الشقيين النصارى بعد ما عرفوا اللسان العربي جيداً فامتثلوا الحكام ما امر به ملكهم • وذكروا الذين احصوا النصارى المقطعة السنتهم فكانوا سبعين الف لسان ومن تبقى منهم بغير قطع لسان اقاموا لهم تراجمين في الاسواق والبيع والشرا يعرفون بلسان العربي ولسان النصارى • وكانوا النصارى في ضيق عظيم من ذلك ومات كثير منهم وماتوا الذين كانوا يوعظوهم ويعلموهم ولا كانوا يفهموا ما يقروا ولا يسمعوا • فانظر جيداً يا هذا الى صلاح وفضائل ابائنا واجدادنا الذين كانوا في بلادنا وما صبروا عليه بعد ايمانهم بالمسيح من عباد الاصنام وشدائدهم مدة ثلثماية سنة ثم بعد ذلك ما صبروا عليه من

شرور الاراطقة واضطهادهم وما احتملوه وقاسوه في محبة الامانة المستقيمة لان الله امتحنهم كالذهب في الكور وظهروا كالابريز وخلفوا لنا الامانة المستقيمة الحسنة المودية الى ملكوت السموات فيجب علينا ان نغبطهم ونترحم عليهم ونعمل لهم تذكارات وصلوات دائماً ونتشبه بهم • فلما نظر الله صبرهم رحمهم وارسل لهم رجل فاضل يدعى الشماس عبد الله ابن فضل مطران الانطاكي وكان عالماً جداً بلغة العربية واليونانية والسريانية • فاخرج للمسيحيين ساير الكتب العتيقة والجديدة المقدسة مع ساير تفاسيرها للغة العربية وامرهم بقراءتها في ساير السبوت والاحاد والاعياد السيدية واخبار القديسين وافنى كل عمره في هذه الاعمال الصالحة وابقى لنا القوانين باليوناني والسرياني لانهما الاصل ولكي لانترك هذه اللغات المقدسة التي نطقوا بها ابينا القديسين • ثم بعد هــذا الفاضل ظهر لنا الاب الفاضل بواص اسقف صيدا وفعل كذلك بحسب مقدرته • وظهر ايضاً لوقا الاقريطشي المتعرب وفعل كذلك • وظهر نيكن المغبوط رئيس دير سمعان العجايبي الانطاكي وصنف كتاب الحاوي الذي هو لكل جرح مداوي وكتابين اخر دونه وفعل حسب مقدرته • وظهر جراسيموس البـار رئيس دير مارسمعان وصنف لنا الكتاب الشافي في المعنى الكافي • ثم ظهر القديس اثناسيوس بطرك اورشليم وصنف العظة لمنفعة المومنين وبدأت الامانة وتفاسير الكتب الالهية تنمو وتزداد جيل بعد جيل • هولاء المذكورين فسروا لنا الامور الضرورية اللازمة لنا وابقوا غيرها لكثرتها وصنفوا هم مقالات عظيمة نافعة • وهكذا كنت انا الفقير اذا نظرت كتاب رومي غريب يشتمل على منافع روحانية ليس موجودة في لساننا كنت اجتهد على حسب المقدرة واخرج منه ما هو معدوم عندنا فوجدت كتاب من جملة ذلك عجيب جداً قد جمعه مصنفه وهو بائسيوس الساقزي مطران غزه من كتب كثيرة قد تعبوا عليها من كان قبله وجعله روس روس مفصلة ودعاه كتاب الرموز • وفيه اخبار ورموز على ما مزمع ان يصير اموراً عجيبة ومن جملته اخبار موجودة عندنا • فالفقير اخرجت منه ما ليس هو عندنا موجود فقط وتركت الموجود وأضفت في اثره اخباراً غريبة • ولم كنت اكتب بيدي واجتهد على اخراجه من الرومي الى العربي الا الشي المعدوم من لساننا وجمعت فيــه من كتب كثيرة واسميته كتاب النحلة لمكاريوس البطريرك الانطاكي لان كما ان النحلة تطوف على الازهار الزكية وتجني منها كذلك طفت على كتب كثيرة وجمعت منها هذا الكتاب • وقد يوجد كتب كثيرة

اعلم بان في القديم من كثرة ورع المسيحيين وطهارتهم وحرارة ايمانهم كانوا يجتمعون في الكنايس الرجال والنسا معاً وكان اذا قال الشماس في القداس فلنحب بعضنا بعضاً فكانوا ساير الحاضرين في الكنيسة يقبلون بعضهم بعض من غير غش واخبر الكتاب بان يوحنا فم الذهب كان اذا خدم القداس الالهي فكان ينظر الروح القدس حين ينحدر على الاسرار الالهية ويقدسها بعلامةٍ هو كان يعرفها وحدهُ لاجل نقاوة نفسهِ وفي بعض الايام لما كان يقدس كان خادم معه شماس وكانت نيته ردية وذلك انه نظر من الهيكل الى امرأة حسنة الصورة جداً فاضطرب قلبهُ وان الروح لم ينحدر على القربان كالعادة فحينئذٍ عرف القديس السبب من قلة ظهور العلامة وان ذلك الشماس تنحى في تلك الساعة فلاوقت انحدر الروح القدس ثم ان القديس بعد ذلك خاف ان لا يصير هكذا لغيرهِ ولغيرهِ • وايضاً لكي الناس يتورعوا ويوقروا الاسرار الالهية فامر ان يقفوا النسا وحدهم في جانب من الكنيسة ويعملوا بينهم وبين الرجال شعاري كمثل الاقفاص لكي ينظر النسا الهيكل والكنيسة • والرجال والكهنة والشمامسة لا ينظروا النسا وهكذا بقت العادة • انتهى

وقد رُوي قريب من هذا عن القديس باسيليوس غير انهُ صُرّح في قصتهِ انهُ امر بوضع ستار من النسيج بإزآء النسآء في كنيستهِ نفسها كما حكاهُ غوار • ثم اقتدت بهِ بقية كنائس البلاد اليونانية حتى عم فيها على

يدعون كتاب النحلة الفلاني دعيت انا هذا الكتاب النحلة باسمي لمن ينتفع بقراءته ونسخه فادعوا انا بالمغفرة والبركة على من يفعل ذلك